من مذكرات عاشق فلسطيني

طلبت فيك الحلم والسلاسل العذبة . كان بيني
وبينك التفاتة اخرى ، شممت فيها
دما وحسرة . أفي عينيك هبّ يومي ،
وكنت قيدي ، بهجتي ، وصومي ؟
ظللت الوي الضوء بين مقلة وخطوة .
واستشير الباب فيك ما انتهيت عن وجه ولا يدين .
حين أتى المساء كنت قانعا بوجهي ،
حين أتى الصباح لم أخبر صديقا انك الآن رياح وطريق:
بينهما طلبت فيك الحلم والسلاسل العذبة. كل لحظة
أغرس في شفتيك ساحلا ، فاض ساحلي
واستبدل المياه بالرمال .
وكلما هممت أن ألقي على
عينيك مفتاحي ، شممت الدم والحسرة، وارتدالي
وجهي :
دخلت في المساء والصباح ، حياني الرفاق مـا
التفت ، قيل
لي العبور من هناك ما انتبهت . انت في الشارع
العاشق ، أنت فيّ ... أنت ... ماذا ؟..
(غسلت شعرك الندي ، زغت من
بين يدي ، أين تهربين ؟
بيوتنا بعيدة ، هيا اركضي !
ركضت خلفك، استبحت الظل تحت أرجلي ،
حين تعثرت بك استراح راسانا على الرمال،
وكانت القرية تستريح خلفنا على الجبال
تواجه البحر ، وترقب الشمس متى تغيب)
ماذا ؟. عبرت خوفي
وكنت واقفا أمام الباب أرقب الوجوه والملابس الملونة،
أحب في الشفاه صوتي ،
الفّ اعشابا على اصابعي
واسمع الشمس تطير من جفوني ، ثم تلتوي على
كؤوس الشاي
مررت بي ، وحدق الجبين بالجبين
هممت أن اقول شيئا ، غير أن الخوف غطى الحنجرة
وهكذا انتهى احتفالنا
اشارت الساعة أن خذ كأسك الاخيرة ،
تدلت الكؤوس بين مقلتي ، غنت الصحراء فـي
اصابعي ،
فعدت واقفا أمام الباب ارقب الوجوه والملابس الملونة
وهي تمصّ وجهك البحري عن عيني .
وحين غبت في الزحام غبت في
(عينيك ، صحت : هيا
تعود قبل أن تجف الشمس في شفاهنا
قلعت من كفي اصبعا
اشعلته ، ثم زرعته من الجذور بين الرسل والمياه،
وقلت : هذي شمعة فقبليها ثم قبليني
فهي دمانا ،
والمياه ثوبنا ،
والموج غرفة لنا
والحب يبني في وجوهنا مملكة .)
وايقظتني : « حان موعد الذهاب . »
مددت شارة الى الباب فما استضافني الباب . رأيته
ينازع الفضاء بيته ،
هبطت في ذاكرتي :
كان شريط البحر يستلقي على نهديك . صار خوفي
حديقة ونزهة وبئرا ،
وخوفك التفاتة وحسرة وذكرى .

أدرت وجهي هابطا
الى الممرات ، خرجت من زحام الناس سائلا
زحام وجهك التفاتة :
أانت مثلي تبحثين عني في وجوه الاخرين ؟
أانت مثلي تشربين الخوف من وجوه الاخرين ؟
هيا الى الحديقه ،
نسألها موعظة من قبل أن يأخذنا الزمن
(رأيت المساء يعلق أجراسه في جبيني ،
ويعلن ان الحبيبة قد هيأت نزهة الليل ، سرنا
وحين صعدنا
الى التل جاء الغدير يعاشرنا ، فتح الباب ، قـال
« ادخلوا »
ولم نلتفت حين لاحت على الماء عين غريبة .
صببت المياه على
ذراعيك ، ساقيك ، وجهك ... رحت
أنشفها بثيابي .
تألقت في الماء والليل يا نخلة تتفتح بين كفي وصوتي
هو الليل والماء يحضن كلّ صديقه
وانت العروس تجلت
واعطت لدمعي طريقه ـ
ولم نلتفت حين حطت على الماء ريشة طير غريقه
وهتمت به ،
وهمّ بها
فمد اليها يديه
وقرّب منها جبينه ،
رأى شبحا من وراء الستائر نقيض جمجمة ، صاح
به : قف
أما زلت تتبعني حاجبا بين روحي وثمارها ؟ »
واطبق كفيه ، شاهد خطا من الضوء ينسل
من فرجة الباب ، ثم يمد طريقين :
طريقا الى المرأة المفعمة ،
واخرى الى رقصة الجمجمه ،)
تلقته صيحته ، فارتخت ركبتاه ،
وأغمض عينيه : ليس سوى الرمل يعلن افراحه في
دماه .
هو العشق يلبس أوجهنا
وترحل عنا شعائره ... غير ان الحديقه
تنازع أشواطنا في احتضان الشفاه الغريقه

بغداد

خالد علي مصطفى